بين الفلسفة وعلم الكلام

أ.سعيد فودة



@saeedfodeh

الشيخ سعيد فودة

تعريف علم الكلام

– من الأسماء التي تطلق على علم الكلام
"أصول الدين" ، و"علم العقائد" ، وعلم "الأسماء والصفات" ، و"الفقه الأكبر"
كثرة أسماء الشيء تدل على علو منزلته ومكانته.

– تعريف علم الكلام
عرفه الإمام التفتازاني في (تهذيب الكلام) فقال: "الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية"
وقال الإِمام العضد في (المواقف): "والكلام: علمٌ يُقتدرُ معه على إثباتِ العقائد الدينية بإِيراد الحجج ودفع الشبه" .

تعريف علم الكلام

– هناك معنيان مهمان نستفيدهما من تعريف علم الكلام:

المعنى الأول : هذا العلم يبحث في أصول الدين من حيث:

أ– بيانها

ب– إثباتها

ج– الرد على الشبه الموجهة على أصول الدين.

د– يمهد علم الكلام بإِثبات القواعد التي لا يمكن تقرير الفروع إلا عليها.

المعنى الثاني: لهذا العلم موقع عظيم في العلوم الدينية

ويلزم عن ذلك أن يكون له تأثير بالغ في سائر العلوم؛ وذلك لأن الدين له مدخلية في أكثر العلوم البشرية، إما مباشرة أو بالعرض.

تعريف الفلسفة

– قال بعض الباحثين فيثاغورس هو الذي وضع لفظ فلسفة
قال : "لست حكيماً، فإنَّ الحكمة لا تضاف لغير الآلهة، وما أنا إلا فيلسوف" أي محب للحكمة" .

– عرَّف الكنديُّ الفلسفة في كتابه إلى المعتصم بالله بأنها : "**علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان**" .

– قال ابن رشد في "فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال والانفصال" : "**فعل الفلسفة** ليس شيئاً أكثر من النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات، فإن الموجودات إنما تدلُّ على الصانع بمعرفة صنعتها، وإنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتمَّ كانت المعرفة بالصانع أتمَّ" .
فالفلسفة عنده هي **النظر العقلي بشرط**، وهذا التقييد للفلسفة لا يرتضيه أكثر الفلاسفة كما هو غير خافٍ.

تعريف الفلسفة

– وليم جيمس إيرل صاحب كتاب (مدخل إلى الفلسفة) قال في تعريف كلمة الفلسفة ومفهومها :

"تأتي لفظة فلسفة من كلمتين يونانيتين: الأولى هي فيليا philia وتعني الحب أو الصداقة، والثانية هي صوفيا Sophia وتعني الحكمة. فالفلسفة إذن من جهة الأصل اللغوي تعني محبة الحكمة" .

ثم بين أن هناك أمرين يجب ملاحظتهما :

الأول: أن حبَّ الشيء لا يستلزم امتلاكه بالضرورة.

والثاني: أن الحكمة هنا تدل على كل بحث فكريٍّ دؤوب في أيِّ مجال من المجالات.

ونقل لالاند في **موسوعته الفلسفية** عن بلوندل أنَّ هناك عنصرين متمايزين ومتضامنين دائماً في الفلسفة، هما :

١–المعرفة العقلية للحقيقة الصحيحة.

٢–والحلُّ العمليُّ والراسخ لمسألة المصير البشري،

بكلمة أخرى: قاعدة الحياة والسمة المؤسسة على يقين فكريٍّ وعلى ركيزة واقعية معروفة بشكل مناسب، وصلبة قدر الإمكان.



اعتماد الفلاسفة على مفاهيم دينية مستبطنة في فلسفاتهم

- المبادئ التي تبنى عليها العلوم:

١-**البديهيات**: هي القضية الضرورية التي لا يتوقف التصديق بها على نظر وكسب، وهي أصل اليقينيات.

٢-**المسلَّمة**: هي عبارة عما يحصل التسالم عليه بينك وبين غيرك على صدقها، سواء كانت صادقة في نفس الأمر، أو كاذبة أو مشكوكة.

٣- **المصادرات**: هي المبادئ التصديقية غير البينة بنفسها ويأخذها المتعلم من المعلم بالإنكار والشكّ

٤-**المبرهنات**: سواء بالعقل أو بالتجربة أو بغير ذلك من الوسائل المعتبرة.



اعتماد الفلاسفة على مفاهيم دينية مستبطنة في فلسفاتهم

الملاحظة الأولى: لا يمكن للفلاسفة أن يدعوا أن كل ما يقررونه مبني على بديهيات ومبرهنات. لوجود التناقض.

الملاحظة الثانية: ثبت بالفعل أخذ الفلاسفة من الأديان، واستبطنوا ذلك، وإن حاولوا الدعوى أنها نتيجة النظر المحض.

أمثلة:

١–حاول (كانت) أن يجعل مفهوم **الإِرادة الإِنسانية** بديلا عن الإِرادة الإِلهية في إثبات مفهوم الواجب للأفعال.

٢–استعمل (كانت) مفهومَ الطبيعة بدل **العناية الإِلهية**

٣–مفهوم السوبرمان عند (نيتشه) بدلا من الإِله.

٤–ديكارت استعان لبعث الاطمئنان إلى العقل بمفهوم صدق الإِله وهو مفهوم ديني محض، وينبغي أن يكون في إثباته لاحقا لإِثبات صدق العقل لا سببا لذلك!

ما يفترق به علم الكلام عن الفلسفة

يمتاز علم الكلام عن الفلسفة المشاركة له في كثير من الأبحاث
– **بكونه على طريقة هذه الشريعة** (السمرقندي – الصحائف الإِلهية)
– على قانون الإِسلام (العضد الإِيجي – المواقف)
بخلاف الفلاسفة الذين لا يلتزمون ذلك، وافقوه أو خالفوه .

ما هو قانون الإِسلام :
وضح الإِمام السعد أنَّ المعنيَّ **بقانون الإِسلام** أن لا يخالف المتكلم ما قُطع أنه من الدين، وأن يستمدَّ من الكتاب والسنة، ولا يكفي أن يحصل التوافق بينهما من غير قصد .

ما يفترق به علم الكلام عن الفلسفة

وقد بين أن هناك أمرين يجب الالتزام بهما للمتكلم ليتميز عن الفلسفيِّ :

الأمر الأول:التمسك بالكتاب والسنة أي التعلق بهما .

الأمر الثاني: كون مباحثه منتسبة إليهما جارية على قواعدهما على ما هو معنى انتساب العقائد إلى الدين.

فالمراد بقانون الإسلام إذن: أصوله من الكتاب والسنة والإجماع والمعقول الذي لا يخالفها .

وحاصل المطلوب من الباحث ليكون متكلما على قانون الإسلام: أن يحافظ في جميع المباحث على القواعد الشرعية، ولا يخالف القطعيات منها جرياً على مقتضى نظر العقول القاصرة، على ما هو قانون الفلسفة، لا أن يكون جميع المباحث حقة في نفس الأمر، منتسبة إلى الإسلام بالتحقيق، وإلا لما صدق التعريف على كلام المجسمة والمعتزلة والخوارج ومن يجري مجراهم .

ولذلك فمن خالف من المتكلمين معلوماً من الدين ضرورة خرج عن مسمَّى المتكلمين.

ومن الواضح أنَّ هذا القيد لا يراعى في الفلسفة، فالفلسفة من حيث هي: باحثة عن الوجود المطلق، والقواعد الكلية لمظاهره، لا بقيد أخذ المبادئ ولا المقاصد من الدين الإسلاميِّ كما هو واضح، ولذلك فقد يؤدي النظر الفلسفيِّ إلى القول بما يخالف أصول الإسلام وقواعده المعلومة من الدين بالضرورة.

موضوع العلم وأحكامه

موضوع العلم: ما يُبحَثُ فيه عن أعراضه الذاتية.
قال برهان الدين لار في "تنقيح الكلام شرح التهذيب":
موضوع علمِ الكلام هو المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية
– تعلقا قريباً (العقائد الدينية: قدم الله، وحدة الله، إثبات الحدوث)
– أو بعيداً (ما هو وسيلة لإِثبات العقائد الدينية من بحوث طبيعية ونفسية، ورياضية
مثل:
– البحوث الطبيعية: تركب العالم، الجوهر الفرد، ضرورة العالم وعدمها.
– النظريات التي تبحث في أصل الإِنسان، التطور.
– النظريات الباحثة في دلالة النصوص وتاريخيتها
– النظريات الاقتصادية والسياسية الباحثة في أصول الأحكام الضابطة للإِنسان: السياسة العامة..).

غاية علم الكلام

الغاية: هي ما يتأدى إليه الشيء ويترتب عليه، وهذا الشيء من حيث يطلب بالفعل يسمى غرضاً، ثم إن كان مما يتشوقه الكلُّ طبعا يسمّى منفعةً.

غاية الكلام هي: أن يصير الإيمان والتصديق بالأحكام الشرعية متيقناً محكماً لا تزلزله شُبَهُ المبطلين.

ومنفعته: في الدنيا انتظام أمر المعاش بالمحافظة على العدل والمعاملة التي يحتاج إليها في بقاء النوع على وجه لا يؤدي إلى الفساد.

وفي الآخرة النجاة من العذاب المرتب على الكفر وسوء الإعتقاد.



أصالة المتكلمين وحذقهم في البحث والتدقيق

١- دليل الحدوث في علم الكلام.

سياق الدليل في علم الكلام:

مقدمة أولى: كل حادث (متغير) له محدِث.

مقدمة ثانية: العالم حادث (متغير).

نتيجة: العالم له محدِثٌ.



أصالة المتكلمين وحذقهم في البحث والتدقيق

الصياغة الحديثة للدليل الكلامي :

رتَّب هذه الصياغة العالم الشهير William Lane Craig

وأطلق على الدليل اسما مشتقا من علم الكلام (**The *Kalām* Cosmological Argument**)

1. Everything that begins to exist has a cause of its existence.
2. The universe began to exist.
3. Therefore, the universe has a cause of its existence.
4. Since no scientific explanation (in terms of physical laws) can provide a causal account of the origin of the universe, the cause must be personal (explanation is given in terms of a personal agent)

بعض الاشكالات التي وجهت على دليل الحدوث

إشكالات على قانون السببية:

الإِشكال الأول: قانون السببية يطبق فقط على ما يقع تحت الخبرة البشرية، والعالم لا يقع كله تحتها، فقانون السببية لا يمكن تطبيقه على العالم ككل.

الجواب: لا نسلم أن القانون المذكور يشترط لتطبيقه وقوع موضوعه تحت الخبرة، بل يكفي فهم حقيقة تغيره أو حدوثه، لنعلم أن له محدثاً.

الإِشكال الثاني: قانون السببية مأخوذ من الخبرة، فلا يمكن تطبيقه إلا على ما هو تحت الخِبرة البشرية، والعالم ليس كذلك.

الجواب: لا نسلم أن قانون السببية مأخوذ من الخبرة من حيث هي تجربة تتوقف على التكرار، بل يكفي للاعتقاد به، مجرد تصوره، فهو نوع من الإِدراك المباشر بتوسط تصور الطرفين، ويسمى حدسا عند بعضهم.



أصالة المتكلمين وحذقهم في البحث والتدقيق

الإشكال الثالث: تم القدح في مبدأ السببية في العالم الصغروي، ما تحت الذرة، فكما يزعم بعضهم أن فيزياء الكم تقرر أن الإلكترون مثلا، يمكن اختفاؤه في مكان، وظهوره في مكان آخر، وهذا ينافي قانون السببية.

الجواب: عدم إدراك السبب ليس معناه إدراك عدم السبب. وغاية ما هنالك عدم القدرة على التنبؤ بمكان وجوده الثاني، وهذا ليس معناه عدم وجود السببية في نفس الأمر.

الإشكال الرابع: ثبت بمبدأ هيزنبرغ عدم التحديد لمكان وزخم الإلكترون، وهذا قادح في قانون السببية.

الجواب: المفهوم من هذا المبدأ عدم إمكان التعيين، لا عدم التعين في نفس الأمر، وقد يكون عدم التعيين، لعدم قدرات القياس، لا لمجرد عدم وجود السببية في نفس الأمر.



أصالة المتكلمين وحذقهم في البحث والتدقيق

٢–مثال آخر : أساس الأخلاق

اختلف الفلاسفة في الأخلاق على أقوال كثيرة (نسبية، طبيعية، عقلية، اجتماعية ، وضعية، مصلحية. . . .)

وناقش علم الكلام أصول الأخلاق أيضا، كما نظرت غيره من العلوم الإسلامية فيها، ومن ههنا تبرز مسألة الحسب والقبح العقليين أو غير العقليين عادة أو شرعاً.



أصالة المتكلمين وحذقهم في البحث والتدقيق

٣-مثال ثالث : دلالة الألفاظ (تاريخيتها ومحدوديتها ونسبيتها)

زعم بعض الاتجاهات الفكرية أن دلالة الألفاظ محدودة بالتاريخ المعين الموجودة فيه، والاستعمال الخاص في المكان والزمان المعينين. ولذلك جعلوا الزمان والمكان المعينين، ذاتيين لدلالة الألفاظ، مما أنتج نسبيتها، وتاريخيتها.

ويترتب على ذلك إبطال تعلق النص الشرعي بزمان ومكان وراء ظرف نزوله.

الجواب: إعادة تحرير حقيقة الدلالة اللفظية، وبيان أن الزمان والمكان ظرف حصول الألفاظ وليس قيدا فيها.

أصالة المتكلمين وحذقهم في البحث والتدقيق

-الدولة المدنية، التشريع هل هو للإنسان أو لله.

- تاريخية الدين.

-مسائل تتعلق بالمرأة كالمساواة.

-مسائل تتعلق بالحرية الفردية نحو حرية الإيمان والكفر وبيان موقف الدين منها.

-دراسة النظريات العلمية التجريبية والنظرية المعاصرة وخصوصا لتي تؤثر في بعض المفاهيم الدينية

١-النظرية النسبية.

٢-نظرية التطور.

٣-نظرية اللاتعيين لهايزنبرج (لا يمكن تعيين موقع جسم أو كميته الحركية في لحظة واحدة)

٤-نظرية الانفجار العظيم.

٥-نظرية نشوء المادة لا من شيء.

٦-دراسة بعض النظريات الرياضية المهمة مثل نظرية الاحتمالات وأثرها في بعض المسائل الصولية (التواتر والإجماع..).

شبهات حول مخاطر إعادة إحياء علم الكلام

هل هناك خطورة على الأمة من إعادة إحياء على الكلام؟

١– تشتت الأمة واختلافها وتفرقها.

٢– تمزيق الدين.

٣– اشتعال النزاعات التي تسلزم اضعاف الأمة.

مخاطر ترك علم الكلام

المذهب = منهج تفكير وقواعد نظر + أحكام مؤسسة على ذلك
توضيح: علم الكلام يمثل مذاهب المسلمين في أصول الدين.
إذن يشتمل كل مذهب كلامي على: منهج + أحكام خاصة (رؤية خاصة).
النتيجة:
إذا ألغينا علم الكلام من حيث ما هي مذاهب
ماذا سيبقى ؟!
كلام بلا مذهب.
أي أحكام غير مبنية على مناهج مطردة.
هذه الحالة تؤدي بالضرورة إلى إبطال الدين.

من هم المعادون لعلم الكلام ؟!

١- العلمانيون والملاحدة.....................الدافع : مناقضة الدين في نفسه .
٢- المنتمون للسلفية وهم أتباع ابن تيمية .... الدافع: ١- التعصب (محاولة نفي الآخر وعدم الاعتراف به) .
٢- قصور إحاطتهم بالواقع الاجتماعي والفكري الحاصل فعليا وغيبتهم عنه .
٣- أشخاص ومؤسسات بلا مذاهب كلية..........الدافع: رؤاهم المجتزأة ومصالحهم الخاصة .

دور علم الكلام في الزمان المعاصر

إعادة تجديد علم الكلام المعاصر:

– إعادة بناء مسائل علم أصول الدين بصورة مقنعة مناسبة لثقافة العصر.

– المبالغة في تحري المعارف التي تفيدنا في خدمة بناء العقائد في نفوس الناس.

– العمل على الاستفادة من بحوث علم الكلام وخصوصا في مجال إثبات وجود الله والنبوة نظرا لما تتعرض له من تشكيكات هائلة في الزمان المعاصر.

لا بد من إعادة الاهتمام بعلم الكلام بين المسلمين كعلم يدرس وتكون دراسته مقصودة ، وإعادة اعتباره بين المعارف الدينية.

– عمل مؤسسات بحثية تعمل على بحوث مهمة تتعلق بالمسائل الأصلية في الدين.

– ترجمة الأعمال الأجنبية الضرورية في هذا المجال.

– العمل على توجيه الطلاب من التخصصات الأخرى غير الدينية على الاهتمام ببحوث علم الكلام وخصوصا الأصلية منها، لما لهم من قدرة على التعامل مع آليات العلوم الحديثة.

– العمل على كتابة مقررات دراسية يجب دراستها على طلاب الشريعة من السنوات الأولى تتعلق بتقريب المسائل المهمة ولفت أنظارهم إليها.







saeedfodeh